محاورة
مع أبي الطيب المتنبي

الى الرفيقة سميرة

ناجي علوش

فلنشرب الكأس المجرب
قبل اعلان الرحيل ،

— ٣ —

وانا المطارد ما عرفت من الولادة
صدر امي
كانت سعالى البيد ترصدها ،
وترصدني ،
وكان أبي طريدا
فرضعت من عطش الحسين هوى
وعانقت الدم المهراق في يوم
الشهاده
وعرفت في الفلوات كيف يصير
ذاك الهم همي ...
ودخلت نخلة (١)
غير أني لم اكن فيها وحيدا
كانت عيون حانيات ، حيث أعبر ،
ترصد الاسدي (٢) ، تدعوني الى
النوم الهنيء ، وتغمر الآفاق
جودا ...

— ٤ —

وانا الذي يممت بادية السماوة ،
أسأل الكثبان عن نفر يجوبون
الصحاري ... أعبر الوديان

---

(١) نخلة او نحلة : قرب بعلبك نزلها المتنبي وقال :
ما مقامي في أرض نخلة الا
كمقام المسيح بين اليهود
(٢) فاتك الاسدي ، قاتل المتنبي ، كما تجمع الروايات .

لليل رهبته
وبي شوق الى سفر طويل
أمتد فيه حيث لا تصل
العيون الزئبقيه
لأحط في حدق الرفاق المولعين
بطلعة النجم البهيه
والساهرين على السبيل

لليل رهبته
وبي شوق الى سفر طويل

— ٢ —

لليل رهبته
ووجه المهرة الخضراء ممتدا
على الرمل الخريفي المذهب
وأنا أسابقها فتسبقني ،
وأتركها فتلحقني ، وأدعوها
الى كأس
فتسقيني ولا تشرب

يا مهرتي الخضراء شوقني التحفز
والتفاوي والصهيل
لورود نبع المستحيل
والدرب أبعد ما يكون
والدرب لا يفضي الى يافا ،
ولا يفضي الى عكا ، ولا
يفضي الى المدن المجوسيه

فلنندفع في الرمل ،
ولنعبر الى الشهباء ،
ولنشرب من البيداء اشواق
الظهيرة
ولنقتحم سر الينابيع الغزيره
فالدرب أبعد ما يكون
والدرب أوعر ما يكون
يا مهرتي الخضراء لوعني
الضياع عن السبيل
لا ألوي على شيء ، وامشي
في المضارب ، والمضارب
والليل يعطيني عباءته المهيبة ،
لا تحير ولا تجيب ...
والليل يعطيني عباءته المهيبة ،
والنهار يقص أخباري على العسس
الموزع في الثنايا
وأنا أهوم في البراري ،
والبراري تسأل النجم المشعشع
عن فتى يغزو السباسب ،
لا يكف عن النفار ،
ولا يخيب .

— ٥ —

لليل رهبته ،
وفي قلبي نداءات الى سفر ،
وحراس الامير يلاحقون البيد بحثا
عن خطى رجل ، يوزع في
صعاليك القبائل سورة البركان ،
ثم يغوص في الرمل المذهب ،
حين يأتي الجند ، والرمل المذهب
لا يبوح بسره العربي ، لكن
الرياح تذيع بعضا من قصائده
الكثيرة ، وهو يطلق في الهجير
خطاه. منتشرا مع الريح المثيره...

يا صعاليك القبائل ، ان هذا اليوم
يومكم ، واني اطلق البركان ،
فانتشروا مع الرمل المعذب، وارفعوا
الرايات في الآفاق ، وامضوا نحو
بادية الشآم ، فان فيها جذوة
من روح فارسنا الشهيد ، وفي
رباها ينبت السدر الذي لا
يستطيع هجير آب المستطير ، بأن
ينال من اخضرار غصونه النضرات،
في يوم من الايام ، فانتشروا الى
كل المضارب ، واصرخوا في القفر
هيا يا نشامى ...

أبوابنا نهب لغزو الروم ، والامراء
في كل العواصم ، يحضرون الخز
والديباج والفرش الوثيرة والسبايا.

أبوابنا نهب ، ونحن نعد للغلمان
أوسمة ، وللندمان أشربة ، وللفقراء

ادوية من السم الزؤام ، ولا نسائل عن أرامل أو ثكالى أو يتامى

اوطاننا نهب لجيش الروم ، والامراء يستبقون كي يأتوا لقيصر بالهدايا ...

— ٦ —

يا أيها الوجه الذي يصبو
الى وجعي ولا يحكي
ويدعوني الى ولع ولا يحكي ...
أأحكي مرة عن أعمق الاشجان ؟
.. في قلبي لهيب لا يراعبني
وعيناها تصدان اعترافي
وهي تدعوني الى الكأس ،
وتدعوني الى الصمت ،
وحبي ، كلما حاولت ان يخفى
أتاني غير خافي ...
أيها الوجه الذي يشرق بالنجوى
ويزهو بالامان
انني أحكي عن الاوجاع في غير الاوان ...

— ٧ —

لليل رهبته
وحراس الامير يقلبون الرمل بحثا عنك ، والرمل المعذب لا يبوح ، وانت منتشر مع الريح المثيرة ... غير أن خطاك لا تقوى، فتسقط بين ايديهم ، وتدخل حمص مطعونا ، ويتركك الصعاليك النشامى في قيود الحور والصفصاف (١) ... ينتشرون في عصب القبائل .

... عفوا أخا الفلوات لا تفزع ، ولا ترهبك عربدة الجلاوزة القساة، لان بادية الشآم تموج بالدم والزلازل
... فالعق جراحك ، وانتظر فجر الغد الاتي ، ولا تسأم ، لان قيودك الهرمات سوف تهر حين تنسم الريح الجنوبيه ...

— ٨ —

وانا المطارد ...
ذاك كافور يلاحقني الى قلب الجزيرة ،
يطلق الفرسان في أثري الى الوادي ، ويغري كل أوباش القبائل باصطيادي

فلقد أصر بان أعود اليه في قيد من الذهب المرصع ، كي يحاورني على نكران نعمته الاميريه

ولقد أصر بأن يعيد الي رشدي ، بعد ان اوغلت في هوسي ، واسقيت القبائل خمرة الشهداء ، واستنفرت أرجال الجراد ...

ويريدني أن اهجر الفلوات والرمل المحبب، أن أعود الى الحظيرة، معلنا فشلي ، وأن أنسى على الفرش الوثيرة كل اوجاع الجماهير الغفيره

ويريد صوتي ان يكون مع الدراهم والجواهر في خزينته الحديديه...

وأنا أكابد ...
ذاك صوتي لا يعاد ، ولا يخبأ في الصناديق الصغيرة... ذاك صوتي يعشق الآفاق والقمم السوامق والبوادي ...

وأنا أجالد ...
كي أعبر عن مشاعر لا يحس بها الامير ، ولا يقدرها الخليفة .
وهو مصمود على دست الخلافه
وأنا أجاهد ...
كي أعمم في القبائل
ما تحدثني السقيفة ،
وهي تشحنني بأكسير الرصافه

— ٩ —

وأنا المطارد ...
حدثوني في السماوة أن في طرف الجزيرة مدعي ثأر يهددني، وأن العار لا يمحى بغير الدم ...
اذ اني قذفت ذمار محصنة ، ولم أمنع لساني من حديث يخدش الحرمات ... يا ثأر هذا فاتك الاسدي منتشرا على الآفاق ، منتظرا فريسته الشقية ، مقسم أن يترك الطير الجوارح تشبع الشهوات من جسدي، ليرضي ضبة العتبي والشرف الرفيع ، ويغسل العار الذي لبسوا ...

يا للعار ... هذا الفاتك الاسدي ممتد على الآفاق ، منتظر لقاءك، فاعبر الفلوات مختفيا ، وكن حذرا لان لفاتك الاسدي في البيداء ارصادا من الطير الجوارح والسعالى ...
هذا مصيرك ...
فاحذر الاسدي في الفدوات والروحات ، لا تقبل على المجهول ، لا يحميك انسان ولا جان ، ولا يغنيك ما جمعت من حب القبائل في حياتك ، أو أحرزت من جاه ومن سلطان .

— ١٠ —

عفوا أخا الفلوات ، أين تفر ، هذا الفاتك الاسدي منتظرا ، وكافور يؤلب كل أوباش القبائل في الشآم، وسيف الدولة المضري لم يفهم رحيلك وهو اذ يرجو حضورك سوف لا ينسى خروجك عن ارادته السنيه.

عفوا أخا الفلوات، ان العاهل العربي، لم يفهم لماذا كنت في حلب ، وشاء بأن تكون من البطانة ، ان تعيش مع البطانة ، ان تقاتل تحت رايته ، وتنسى عهدك القدسي ... أن تحيى مع الندماء ، تبسم عند بسمته وتبكي حين يسعل ، ان ترى الغلمان فرسانا ، وان تتجاهل الفرسان من كلب ، ومن بكر ، ومن قيس ، ومن عيلان ... ان تنسى لماذا جئت ، أو قاتلت ، أو طوفت في العرب ...

---

(١) يروى أن المتنبي قيد بقيود كهذه .

... وفي حلب ، وفي الامصار ،
يشعل محفل الكهان نيران الكريهة
حول قصدك ، يطرحون على القبائل
أنك اخترت الهريبة ، حين كان
الروم يقتربون ...

... عفوا انهم يدرون ان الروم
ينطلقون في حلب ، وفي الامصار،
منصورين ، والامراء ينتظرون
قواد الدمستق في المشارف
بالذبائح والخزامى

عفوا أخا الفلوات .. هل تحكي
لهم ما دمت من حلب،وما استهدفت
أو ما رمت من سكناك بادية السماوة؟
من أيامك النكدات في الفسطاط ،
انهم يدرون قصتك القديمة
والجديدة ، يعرفون بانك اخترت
الرحيل الى حمى الشهباء منشرحا،
لتدفع عن حماك الروم ، لكن
الامير الشهم اوغل في الغواية ،
واستوى في عرشه ملكا ، وراح
يحارب الاروام بالغلمان ، لم يركن
الى الفتيان من فرساننا النجب،
ولم يبحث عن الفرسان في عبس
وفي ذبيان ... ان الفارس المغوار
محكوم بدولته ، ومحجوز عن
الفقراء بالسلطان ...

وأنا المطارد ...
لا أقاتل جيش قيصر بالعلوج ،
ولا اواجه جيش كسرى بالصنوج،
ولا أرى الامراء قوادا ، لامشي
تحت رايتهم ، فلي عهد مع الفقراء
لا أرضى له بدلا ، ولي ثقة برايتهم
أحاذر ان يزعزعها سراب الوهن
والخذلان ...

وأنا المطارد
ما رميت على الطريق حطام سيفي
أو تركت زمام مهرتي الخفية
للرياح
أمشي فتشتعل الجراح
امشي فتندمل الجراح
وأغذ سيري ، لا يكل على
احتراق الرمل طرفي
وأنا المطارد ...
هل تعيرني قريش بالتخفي ؟
وبطاح مكه تعرف الفتيان ،
ان غابوا وان حضروا ،
وتعرف كيف تعمرهم
اساطير الشهادة في الغدو
وفي الرواح ...
فقراء مكه علموني كيف
أنسى في ليالي العصف خوفي

— ١١ —
لليل وحشته
وبي خلجات نفس تسأل النجم
المغرب ، عن حبيب كان غرب ،
ثم لم يسأل ولم يكتب ولم يرجع
الى دار بنيناها ، ولم يترك لنا
أثرا نلاحقه ... ظننا انه يأتي
مع الطير الربيعي، او الطير الخريفي،
أو الطير الشتائي ، فلم يأت ....
ورحنا نسأل الركبان عن عش
له في غابة اخرى ، فلم نعثر على
عش ، ورحنا نسأل الركبان عن
عظم وعن ريش ، فلم نعثر على
عظم ولم نعثر على ريش ، ترى
هل تخبر الاحباب والاصحاب ان
الالف محكوم بغيبته ... وان
الالف لن يرجع ...

لليل وحشته ...
وقلبي لا يؤمل أن يعود الى
الحبيب ، ولا يقامر ان يقول
مضى الحبيب ...

لليل وحشته
وبي رعش شتائي غريب ...

— ١٢ —
هل تطلبوني باسم ضبة
ان تشاؤوا فاطلبوني
فأنا المطارد تعرف الفلوات
وجهي والعواصم
وأنا المؤمن لن أساوم ...

— ١٣ —
لليل رهبته
وفي الفسطاط خلفت اليمامة ، كان
فرخاها صغيرين ، وكانت في
لياليها أعاصير ضواري
مسحت رأسي بكفيها ، وأعطتني
بعينيها أعاجيب السلامة
واستدارت نحو فرخيها ، وقالت لي
سنبقى بانتظار ...
فتذكرنا اذا حدثت أزهار البراري
وتذكرنا اذا أشجاك في الفجر هديل

لليل رهبته
وقلبي في مجاري الريح سابح
وأنا اراها ، وهي رابضة على غصن
تحاصرها الجوارح ...
فأصد قلبي عن مخاوفه ، وأعطيها
على حبي علامه ...

— ١٤ —
هل تقتلوني باسم ضبة
ان تشاؤوا فاقتلوني ...
وتحملوا عبء الدم المهراق في غير
القضيه ...
وتذكروا ان الدماء هي الدماء
وانني كنت القتيل (١) ،
وقاتلي ليس القتيل ...
وتذكروا اني رأيت دمي على
قسمات كافور الزريه ...

— ١٥ —
لليل هدأته
وفي طرق المدينة يخطر الفرسان
مزهوين بالخوذ الحديديه ...
يتدافعون على المداخل ، والمنازل
تسأل المذياع عن غزوات جيش
الروم ، في كل المناطق ، والمدائن
في بلادي تستريح على الهزيمة ،
ثم تغمض مقلتيها ... حين يعلن
حاكموها أنهم هزموا الجيوش البربريه

---

(١) قال المتنبي ، واقتبس محمود درويش :
وانا الذي اجتذب المنية طرفه
فمن المطالب والقتيل القاتل

... وأوامر الاستاذ (١) تصدر بالتوغل في المدينة ... فهو مشغول بكوكبة من الشذاذ تسكنهم أساطير الشهادة ...
... العفو ، هذي حكمة الاستاذ ، والاستاذ معروف بحكمته، ومشهور بخبرته ، ومحسود بفطنته ، فلا تخشوا على أمن العشيره ...

لليل هدأته
وكافور يقهقه في استراحته ، لان جنوده الشجعان جاؤوه بكوكبة من الاسرى ... وخصوه بصندوق به أوراق مطلوب يوزع في القبائل سورة البركان ...

لليل هدأته
ورأسي لا يقر على وساده ...

— ١٦ —

يا أيها الوطن المسافر في الجبال ، وفي السهول ، وفي الهضاب ، وفي الصحاري ...
يا أيها الوطن المعزز بالمحيطات الفسيحة والبحار ...
طوفت فيك من الطفولة غير أني لم اسافر بعد ...ذاك النيل يدعوني وتلك شوامخ الاوراس... هل يمتد عمري كي أغوص الى منابعك السخيه ... ودعت دار ابي صغيرا ، وارتحلت ، وكنت القى فيك رغم شراسة الامراء عائلتي وداري ...
يا أيها الوطن الموزع في الخرائط والمضيع في المصارف ، والمقنن في الجمارك ، والمجوع بالجوازات الكثيرة
ابناؤك الاحباب ما زالوا على درب المحبة يعبرون ، ويدفعون ضريبة الشغف الغزيره ...

— ١٧ —

لليل رهبته
وقلبي سوف يرحل في بلادي ...

يا بلادي
ان تكوني
سجنا ، فلي منه نصيب ارتضيه
وان تكوني ...
قبرا ، فلا ارضى بديلا عنه يوما ، أو تكوني ...
نجوى ففي عصبي ، وفي عرق المحبة في فؤادي ...

وأنا المسافر فيك ، لا أرضى الرحيل الى سواك ، ولا اغرب عن هواك، ولا يخامرني الوداع ...
في القلب نبع هوى ... يفور في المقام وفي الرحيل ، فلا تجففه الرمال ، ولا يبدده اندفاع...
وأنا المسافر فيك ، اعبر من رباك الى رباك ، فلا أمل ، ولا اكل ، ولا يفارقني التياع ... وأمر بالخلفاء والامراء والتجار ، لا ألقي السلام، ولا أرد لهم تحيه . يتحرق الشهداء في جسدي ، ويسكنني الجياع...
في القلب نبع هوى ...
وانت هواي في جوعي وفي عطشي، وأنت الشاعرية في شجوني ...
ما شئت كوني ...
اني اريدك ان تكوني
سلوى لكل المتعبين ،
وواحة المهج الشقيه ...
ما شئت كوني
يا بلادي ...
ان قلبي لا يوزع أو يروع
أو يميل ...
ولا تضيعه الرياح الساقيات
عن السبيل ...

— ١٨ —

عفوا أخا الفلوات ، لا تأخذك لحظتك الشجيه ...
فالنيل يحمل سره الازلي للمدن الكبيرة والدساكر والفيافي ...
والنيل يطلق خضرة الرمل المعذب
لا يراوغ أو يجافي ...
والنيل يأخذه انقباض ،
ثم يأخذه اتساع
لكنه يجري بصدق لا يخل به انقطاع ...
عفوا أخا الفلوات والجفنات لا ترسم على شفتيك آثار الجفاف ...

للنيل عادته
وقلبي لا تغيره الرياح الموسميه ،
فاذا تخاذل متعبون على الطريق ،
وخلفوك بغير زاد
فاصبر قليلا ان سربك سوف يأتي من مضارب لا تغادرها الحميه ...

ان الصراع هو الصراع
وان أصارع لو عصت قدم ، ولو كلت ذراع ...
والنيل يعرف وجهه البحري، مهما غير الرمل القوافي ...
والنيل لا ينسى ، ولا يلهيه عن عطشي الضياع ...

عفوا أخا الفلوات ... جيش الروم في الابواب ، والغلمان يغتسلون ، والامراء ، حين تكالب الغازون ، خلونا بلا مال ، ولا جند ،
وأعطونا اشارات الفرار
وانا يلاعبني السراب ، فلا أجيب ،
وأشرب الكأس المجرب حين يتعبني،
فتنكشف الاحابيل الخفية ...
ويبين لي درب اللقاء ،
على الرمال الجاهلية .

للنيل عادته
ونيلي لا يشت ولا يراع
ولا يكف عن المسيل .

— ١٩ —

للصبح طلعته
وقلبي لا يمل من الرحيل ...
وأنا المسافر ...
في دمي زخم العواصف والزلازل والصهيل ...
لم يبق عندي مستحيل ...
الزاد من جسدي وفي قلبي الدليل،
ما أجمل السفر الطويل ...

فياتنام ٢٠-٧٩/١١/٢٧

(١) الاستاذ لقب كافور .